

المكتبة القبطية على الانترنت
زيارة الموقع

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت
ألقاب المسيح
– ١ –

ماهية المسيح

لاهوت المسيح الذي حدَّد مصير الإنسان

(تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية)

الأب متى المسكين

ماهية المسيح[1]

□●□●□

المسيح لا يُعرف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلاَّ بالنسبة لله. وما صار إليه بالتجسد في علاقته بالإنسان.

والآية الرائدة التي اتخذها كل الآباء القديسين واللاهوتيين عموماً، هي آية سفر العبرانيين التي أوحى بها الله لكاتب[2] سفر العبرانيين ليبتدئ بها سفره الثمين الذي يدور بأكمله حول شخص يسوع المسيح. وقد عرَّفه في هذه الآية تعريفاً في غاية الدقة بالنسبة لله، سواء من جهة طبيعته أو شخصه هكذا:

+ «الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عَمِلَ العالمين، الذي وهو **بهاء مجده ورسم جوهره** وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في

---

(١) الماهية هي كلمة تعبِّر عن مَنْ هو الشخص من جهة شخصه وطبيعته. على أن الماهية في اللاهوت غير الماهية في الأشياء: الماهية في اللاهوت مستمدة من كلمة "هو"، و"هو" في اللاهوت لا تعبِّر عن الغائب، ولكن تعبِّر عن الكائن بذاته وهو الله. ونجدها بوضوح في قول المسيح: «أنا هو».

(٢) وهو بولس الرسول بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية.

الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم.» (عب ١:١-٤)

وهكذا لكي يدخل الوحي إلى التعريف بماهية المسيح، بدأ أولاً بالأنبياء ليتجاوزهم شأناً وزماناً، إذ حصرهم جميعاً في العهد القديم الذي انتهى سنة ٤٠٠ ق.م، ثم بالنهاية نجده يتجاوز الملائكة أيضاً باعتباره أعظم منهم جميعاً، وهو بحال تجسُّده؛ إذ لما قام من الموت بجسده، وقد ظفر بالشيطان وكل رئاساته، حاز خلاصاً من الخطية والموت لكل بني البشر، وارتفع فوق أعلى السموات باقتدار عظيم:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء...» (أف ١:٢٠-٢٢)

وبهذا الانتصار الفريد فوق الموت كأعظم عدو، والظفر بالشيطان باعتباره مَنْ له سلطان الموت!! وارتفاعه السامق فوق هامات الملائكة كأقدس خلائق الله؛ ورث اسماً أعظم منهم إذ تعيَّن أنه هو ابن الله الذي تجسد! ثم بعد أن ظهر وعُرف واستُعلن وتعيَّن أنه هو هو ابن الله، بدأ الوحي يصف المسيح في علاقته بالله ذاته.

«الذي هو بهاء مجده»: ὅς ὢν ἀπαύγασμα τῆς δόξης αὐτοῦ
وهذا الوصف تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بطريقتين:
الأولى: وهي بحسب النص اليوناني حرفياً:

who being (the) **Radiance** of the Glory of God.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

He **reflects** the Glory of God.

وبهذا نفهم صفة المسيح طبيعياً بالنسبة للآب هكذا: أن المسيح هو **إشعاع يعكس بطبيعته مجد الله**. وهذا الوصف قائم أساساً على علاقة طبيعة المسيح بطبيعة الله على أن طبيعة الله هي مجده، ومجده هو نور. وهذا هو ما اصطلح عليه الآباء القديسون الأوائل بمقولة لاهوتية صارت جزءاً لا يتجزأ من إيماننا، أن المسيح هو **"نور من نور"**.

فإن كان **«الله هو نور لا يُدنى منه»**، فالمسيح كابن الله هو كما قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم». وكما شهد له القديس يوحنا واصفاً طبيعة المسيح: «كان **النور الحقيقي** الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو ١:٩). ثم يعود القديس يوحنا ويصفه هكذا: «وهذه هي الدينونة إن **النور قد جاء إلى العالم** وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة.» (يو ١٩:٣)

«ورسم جوهره»: χαρακτὴρ τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ
وقد ترجمتها اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: حرفيــة:

The **representation** of the reality of him.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

bears the very **stamp**, of his nature.

وهكذا يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية هكـذا:

أ. المسيح **هو الممثل** لشخص الله.

ب. المسيح **حامل لذات الطبيعة** أو الصورة لشـخص الله.

فإن قـال الله في العهـد القديـم عـن شـخصه: «**أنـا هـو الأول والآخـر**» (إش ٤٤: ٦؛ ٤٨: ١٢)؛ فالمسـيح قالهـا عـن شـخصه بتأكيد: «**أنا هو الأول والآخر**... الألف والباء، البداية والنهايـة» (رؤ ١: ١٧و٨). بمعنى أن الله في ذاتـه يحيـط بكـل شـيء ولا يحيـط به شيء ولا حتى الفكـر، فهكـذا هـو المسيح بـالمثل. وقـد أكّـد المسيح مراراً هـذه الحقيقـة أنـه حـامل لـذات صـورة شـخص الله: «**الـذي رآنـي فقـد رأى الآب**» (يو ١٤: ٩)، ولكـي يحسـم وحدانيـة الآب والابن ويحرم أي فكـر مـن أن يفكـر في ثنائيـة الآب والابـن، قالها واضحـة أشـد الوضـوح وبتـأكيد: «**أنـا والآب واحـد**» (يـو ١٠: ٣٠)؛ بمعنـى أن الآب والابـن – بـالرغم أن الآب هـو دائمـاً آب، والابـن هـو دائمـاً ابـن في الواقـع المطلـق – إلا أنهمـا **ذات واحـدة، وكيـان واحـد**، وهـذا أوضحـه بقولـه: «**أنـا في الآب، والآب فيَّ.**» (يـو ١٤: ١٠)

وخلاصة هـذه المعلومة الإنجيلية القائلة بـأن المسـيح هـو «رسـم

جوهره»، ومن واقع التعريف والشرح الذي أوضحناه، ندرك ما قاله الآباء القديسون بمقولتهم اللاهوتية التي دخلت في قانون الإيمان القويم: **إن المسيح "إله حق من إله حق"**.

فمن جهة طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله الآب: هو **"نور من نور"**.
ومن جهة شخص المسيح بالنسبة لشخص الله الآب: هو **"إله حق من إله حق"**.

ولعل وصف الله لذاته - عندما طلب منه موسى: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلّمني طريقك **حتى أعرفك**...» (خر ١٣:٣٣) - يُعتبر أول استعلان لطبيعة الله وشخصه، إذ قال لموسى:

+ «فنزل الرب في السحاب. فوقف (موسى) عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية...» (خر ٣٤:٥-٧)

أما **سمو بهاء الله** - إشعاع **طبيعة** مجده - الذي احتواه المسيح إذ: «فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢:٩)، وكذلك **حقيقة رسم جوهر الله** - صورة **شخص** الله - الذي حمله: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩)؛ فهذه وتلك فوق إدراكنا وأعلى وأعمق من أن يفحصها أحد. ولكن المسيح على مدى ثلاث سنوات ونصف، عمل وعلّم وأتى من المعجزات

والآيات - هذه التي سجّلتها الأناجيل الأربعة بكل دقة وباستعلان الروح القدس - إن توفرنا على الالتصاق بها بالروح والقلب، نستطيع أن نأخذ منها ما يكفي ليرسّخ في أعماق روحنا وإيماننا لنشهد ونعترف أن المسيح حقاً هو بهاء مجد الله، أي يمثل لنا حقاً **طبيعة الله**، وأنه حامل لجوهر الله أي صورة صادقة لشخص الله.

والمسيح كان يعلن عن **طبيعته وشخصه** في كل ما قال وعلّم وعمل، وليس فقط بهذه؛ بل وبالأكثر في الصليب والقيامة المجيدة، مستعلناً لنا قوة وعظمة ونعمة الله التي كان يحياها كنموذج حي لله لكي يسلّمها لنا بالسر. لذلك يتحتم لنا أن نعلن أن كل ماهية المسيح التي استعلنها لنا بالإنجيل، كان يقصد بها قصداً أن يسلمها لنا لنكون فيها شركاء معه(٣)، حسب مسرة الله الآب الذي أرسله لهذا عينه. لأنه إن كان قصد الله حينما صوّر طبيعته وشخصه لموسى، هو أن يستمد موسى من هذه الطبيعة وهذه الصفات التي طرحها كحقيقة حيّة فعّالة في فهمه وروحه ووجدانه - يستمد قوة ونعمة وإرشاداً وهداية يعبر بها أهوال غربته التي طالت بطول حياته. فكذلك وبنفس القصد والقوة، طرح الله لنا نفس طبيعته وصفاته، ليس شفاهاً بالكلمة وحسب كما كان لموسى؛ بل استودعها كاملة في شخص ابنه لما تجسّد، لكي نستلمها منه بالنعمة وبالسر، نستلمها كاملة أيضاً وغير منقوصة

---

(٣) نحن نصير «شركاء المسيح» (عب ٣: ١٤)، و«شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤)، ليس بمعنى أن تتغيّر طبيعتنا إلى طبيعة الله؛ بل بمعنى أنه يحل هو فينا حسب قوله: «أنتم فيّ، وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، فيهبنا شركة في صفاته الخاصة.

لنعبر بها، ليس على مدى غربتنا على أرض الشقاء فحسب، بل ولتكون هي بعينها سمة حياتنا الجديدة المؤهّلة للشركة مع الله في ابنه المحبوب لحياة الأبد، في ملء طبيعته وصفاته، كقول بولس الرسول العجيب: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣:١٩)

ولنا في ذلك شهادة من المسيح تعتبر ذات قوة وذات دفع: «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمّيتكم أحباء **لأني أعلمْتُكم بكل ما سمعته من أبي**» (يو ١٥:١٤و١٥). ثم أيضاً هذه الشهادة ذات المضمون الإعلاني الفريد الذي بلغنا به ملء الحياة الأبدية بمعرفة **طبيعة** الله في المسيح، **وشخص** الله في المسيح:

+ «مجّد ابنك ليمجّدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليُعطي حياة أبدية لكل مَنْ أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: أن **يعرفوك أنت** الإله الحقيقي وحدك، **ويسوع المسيح** الذي أرسلته.» (يو ١٧:١-٣)

وهكذا إذ عرفنا الله والمسيح معرفة الشركة في ذات **الطبيعة والشخص**، نلنا ملء الحياة الأبدية. والقديس يوحنا يشهد ويعترف بلساننا:

+ «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.» (يو ١٤:١)،

+ «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة.» (يو ١٦:١)،

+ «وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو١:٢-٤)

(يوليه ١٩٩٣)

في لاهوت المسيح

الذي حدد مصير الإنسان!!

إن كان العهد الجديد بكل أسفاره يكاد لا يعطي المسيح اسم "الله" Θεός مباشرة حتى نقول إن المسيح الله، فذلك لضرورة حتمية؛ لأن المسيح هو "ابن الله"، والابن لا يمكن أن يكون "الله" **إلاَّ مع الآب**.

غير أن المسيح لكي يعرِّف أو يستعلن نفسه أنه الله Θεός مع الآب فعلاً قال صراحة: «أنا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠)، و«أنا في الآب، والآب فيَّ» (يو ١٤:١٠). هذا معناه أنه لا يمكن أن يوجد الابن وحده أو الآب وحده. بمعنى أنه إذا ذُكر الابن، يكون معه الآب حتماً ودائماً. لذلك أصبح من المفهوم الضمني أن يقال إن الابن، أي المسيح، هو الله باعتباره قائماً دائماً في الآب لأنه لا يمكن أن يوجد المسيح وحده «وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي **لأن الآب معي**.» (يو ١٦:٣٢)

أ - وحينما أعلن المسيح نفسه أنه "ابن الله"، أدرك معاندوه - وهم الكتبة والفريسيون لاهوتيو العهد القديم - أنه بذلك يعتبر نفسه **إلهاً** مباشرة، هكذا: «وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى

الأبد، **ولا يخطفها أحد من يدي**؛ أبي الذي أعطاني إياها - هو أعظم من الكل - **ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والآب واحد**» (يو ١٠:٢٨-٣٠). فكان رد اليهود أن طلبوا أن يرجموه قائلين: «فإنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**» (يو ١٠:٣٣)، وطبعاً لأنه قال: «أنا والآب واحد»، والمسيح بالفعل هو كذلك، لأنه هو والآب واحد. فهو لم يجعل نفسه إلهاً؛ بل وهو الإله جعل نفسه إنساناً - هذه هي الحقيقة التي فاتت عليهم - وذلك لكي يعلن لهم الله في **نفسه** ظاهراً مسموعاً: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو ١٤:٩)

فالمسيح تحاشى أن يقول مباشرة إنه إله أو هو الله، ولكنه قالها وأكّدها وصمّم عليها عندما قال: «أنا والآب واحد». فإن كان الآب هو الله حقاً، فالمسيح يكون بالضرورة هو الله بالحقيقة، ولكن لكي نتحاشى الازدواجية في الألوهة، نقول إن الله الواحد هو الآب والابن. على أنه لا يمكن أن يكون الآب وحده هو الله، ولا الابن وحده هو الله. بل إن الابن والآب هو الله الواحد. وكلمة **واحد** هنا ليست رقمية ولا تمتُّ للأعداد المادية القياسية بصلة؛ بل "الواحد" بالروح. فالله روح واحد: آب وابن. لذلك نقول إن الله آب وابن وروح، أو على سبيل الإيضاح نقول إن الله روح هو، آبٌ وابنٌ.

ب - على أن الآب والابن ليسا ذاتين؛ بل ذات واحدة، فيها الأبوّة وفيها البنوّة. حيث من الأُبوة الإلهية في الله صدرت كل

أبوة في الوجود (أف ٣: ١٥)، ومن البنوة الإلهية في الله صدرت كل بنوة في الوجود. فالله مصدر كل أبوة وكل بنوة في الوجود. وكل أبوة وكل بنوة في الوجود تستمد كيانها وفعلها ودوامها من الله، ومعلومٌ أن الحياة والوجود في العالم يقومان بقيام الأبوة والبنوة، فلو توقفت الأبوة في الحياة والعالم تلاشت الحياة وتوقف العالم، كذلك البنوة إن توقفت توقفت الحياة وانتهى العالم. إذاً فالأبوة والبنوة الإلهية الثابتة والدائمة في الله هي مصدر وقيام ودوام الحياة واستمرارها في العالم والوجود. وبالتالي لا يمكن بل ويستحيل أن يكون في الله أبوة وحسب، أو بنوة وحسب، أو أن يكون الله بلا أبوة وبنوة وإلا ما كانت حياة ولا وجود لحي.

ج - وفي الذات الإلهية - كما يقرر مجمع نيقية المقدس - لا يصح أن يُنظر أو يُقال أيهما أسبق: الآب أو الابن، لأن الذات الإلهية هي وجود وكيان مطلق منزَّه عن الزمن، فلا سابق ولا لاحق. فالآب والابن هما كيان الذات الإلهية الواحد، وهو كيان أزلي. فالآب أزليٌّ هو، والابن أزليٌّ بالضرورة.

والآب مساوٍ للابن، والابن مساوٍ للآب، لأنهما جوهر واحد وذات واحدة. الآب يكمِّل الابن بأبوته، والابن يكمِّل الآب ببنوته. فالتساوي حتميٌّ هو، حيث يتوجب التطابق المطلق بحكم الذات الواحدة. لذلك نقول بوحدانية الله المطلقة، فالله واحد مطلق، ولا تمايز بين الآب والابن إلا في الأبوة كصفة الله الذاتية والبنوة كصفة الله الذاتية أيضاً. وهما واحد أحد، لأن الآب يحب

الابن حبًّا مطلقاً بأن يعطيه كل ما له، والابن يحب الآب حبًّا مطلقاً بأن يعطيه كل ما له[4]. فالحب الإلهي المطلق توحدت ذات الله. فالله واحد هو لا من منطلق الأعداد؛ بل من منطلق الحب الكلي المطلق الذي يأسر الفكر والقلب، لأن وحدانية الله هي فاعلية حبه الكلي الذي به خلق وأبدع فتغلغل حبه في كل ما خلق وكل ما أبدع، ولحبه القاهر تتعبد له الخليقة وتخضع.

د - والمسيح كان شديد الحساسية، شديد اليقين بمساواته للآب، لأنه هو الابن الوحيد المحبوب المتجسد، فمن يقين إحساسه بحب الآب المطلق (يو ٣:٣٥؛ ٥:٢٠)، ومن يقين حبه هو للآب حباً مطلقاً (يو ١٤:٣١)، كان يرى المساواة حقيقة يحياها ويكرز بها، ويمارس عمل الفداء الذي أعطاه أبوه بخضوع فاق خضوع العبد، لأنه كان خضوعاً لا يشوبه قصور أو ضعف؛ بل خضوعاً مطلقاً أيضاً تمليه عليه طاعة قلب الابن ويحرسه ضمير الحب البنوي، فجاء البذل حسب مشيئة الآب وإرادته تماماً.

هـ - أما إذا سألت كيف يكون في الذات الواحدة الأبوة والبنوة معاً، فعليك أن تفحص الذات البشرية. فكل إنسان فيه الأبوة وفيه البنوة معاً، ولكن في الإنسان تخرج البنوة من الرجل بالزواج، أي بأن تأخذ البنوة التي في كيان الإنسان جسداً من امرأة فيظهر للإنسان ابنٌ، هو ابنه الذي كان في كيانه مخفياً وخرج

(٤) من هنا كانت حتمية الأبوّة والبنوّة في الله حتى تتكمل الذات الإلهية بالكمال المطلق بأن يكون الله محباً حباً كليًّا، وهذه صفة الأبوّة؛ وأن يكون الله محبوباً حباً كليًّا، وهذه صفة البنوة. وبهذا يصير الله في ذاته محباً ومحبوباً على وجه الإطلاق، وهذا منتهى كمال الذات

إلى الوجود بالزيجة وحصوله على جسد من زوجة. أما في الذات الإلهية المنزّهة عن الزيجة، فابن الله الذي في كيان الذات الإلهية مخفيٌّ خرج إلى الوجود البشري بأن تجسد، أي أخذ جسداً من عذراء بالروح القدس بدون زيجة، فظهر في الوجود "كابن الإنسان" لأنه مولود من امرأة، ولكنه هو في حقيقته ابن الله، باق كما هو ولكن مولوداً من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. خرج إلى الوجود البشري وهو كما هو كائن في الذات الإلهية مع أبيه (يو ١:١٨)، وذلك بحسب مشيئة الآب أن يخرج ابنه «من عند الله خرجت» (يو ١٦:٢٧)، ليعلن في ذاته عن حقيقة الله الآب والابن. فلولا التجسد ما عرفنا الذات الإلهية أنها آب وابن وروح قدس.

ولكن ابن الله وإن كان قد وُلد من العذراء ومن الروح القدس، إلا أنه لم يولد من الآب قط بالمفهوم الزمني لأن الله الآب روحٌ هو، وهو منزّه عن الولادة والحدث الزمني، لأن الميلاد كفعل زمني يتم على مستوى الجسد والزمن؛ ولكن يستحيل استحالة قاطعة أن يكون في الله، وعلى مستوى **الروح والأزل**، فعل ولودة زمنية .

وهذه الحقيقة الهامة هي ما أراد القديس أثناسيوس الرسولي أن يُعبِّر عنها بقوله: إن "الابن" **مولود قبل كل الدهور**. فهنا قصد القديس أثناسيوس بقوله: **قبل كل الدهور "ما هو ليس زمنياً"، أي قبل أن يوجد زمن، أي في الأزل**. وذلك لينفي عن الله الفعل والحدث الزمني للولادة، لأن في الأزلية وقبل الدهور والزمن لم يكن فعل ولا حدث وبالتالي لم

يكن فعل ولادة. لذلك يقول القديس أثناسيوس بمنتهى الوضوح إنه **"مولود" كحال** وليس كفعل أو حدث، أي لم يقُلْ **وُلـد** كفعل ماض، الأمر الذي يستلزم وجود الزمن؛ بل قال مولوداً، أي كحال وجودي. فالابن في الأزل كان مولوداً لا من **فعل تمّ**؛ بل **كحال قائم**، أي أن الابن كان مولوداً في الآب في الأزل دون ولادة، أي كان كائناً موجوداً بوجود الآب.

لذلك يضيف القديس أثناسيوس توضيحاً لذلك: أن ليس في الآب والابن متقدِّم أو متأخر، ليس سابقٌ أو لاحقٌ، أي أن وجود الآب لم يسبق وجود الابن ولا الابن كان وجوده لاحقاً لوجود الآب، وإلا دخل الزمن في طبيعة الله، وهذا محال. فالآب والابن وجودهما واحد ومتلازم منذ الأزل.

وهكذا قال القديس أثناسيوس مقولته اللاهوتية التي أخذ بها مجمع نيقية وصارت قانوناً للإيمان المسيحي: إن الابن "مولود قبل كل الدهور"، وهذا يعني **أن الابن قائم في الآب قبل الزمن**، أي منذ الأزل. وهذا بحد ذاته ينفي عن الله **"فعل"** الولادة الذي حيَّر غير المسيحيين، بل والمسيحيين أيضاً، دون أي داعٍ لذلك.

وللقديس أثناسيوس قول واضح يوضّح فيه هذه الحقيقة:
[الأبناء المولودون للناس هم مقتطعون من آبائهم، لأن طبيعة الأجساد ليست عديمة التركيب (أي ليست بسيطة بل قابلة للانقسام)، لذلك فهي في حالة تتابع (أبناء ثم آباء ثم أبناء... وهكذا). وهي بذاتها، أي الأجساد مكونة من

أجزاء، ومعروف أنه بقدر ما يفقد الإنسان من جسمه في التوليد (ذكراً كان أو أنثى)، يعود ويكتسبها بتناول الطعام. وبسبب هذه الحقيقة فإن الناس يصيرون في زمانهم آباءً لأبناء كثيرين، ولكن الله لأن طبيعته غير مركَّبة، وبالتالي بلا أجزاء، فهو أب للابن – الذي له – دون انقسام أو آلام. لأنه لا يوجد استنزاف من الداخل للخارج ἀπορροή (أي ولودة) في الطبيعة اللامادية – وفي نفس الوقت – هي غير مستهدفة للإضافة عليها من الخارج كما هو الحال في الإنسان. ولأن طبيعة الله غير مركَّبة – أي بسيطة – فالله أب لابن واحد وحيد.

لهذا يُقال للابن إنه مولود وحيد μονογενής، والوحيد القائم في حضن أبيه، والوحيد الذي يقرُّ الآب أنه منه قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (مت ٣:١٧). وهو بآن واحد كلمة الآب، الأمر الذي منه ندرك عدم تألم وعدم تجزئة طبيعة الآب. لأنه إذا كانت كلمة الإنسان نفسها يلدها الإنسان بلا ألم أو تجزئة، فكم بالأحرى كلمة الله؟

القديس أثناسيوس الرسولي – شرح قانون مجمع نيقية ١١(٥).
PG 25, 444; NPNF 1st Ser. Vol. IV, 157.

---

(٥) ويشترك عدد من الآباء مع القديس أثناسيوس في هذه الفكرة، أي أن لقب "الكلمة" يُخرج بنوة المسيح تماماً عن مفهوم الولودة المادية (انظر القديس كيرلس الكبير – الكنز في الثالوث ٥؛ والقديس يوحنا ذهبي الفم في شرح إنجيل يوحنا ٢ فقرة ٤؛ والقديس غريغوريوس النيسي ضد أونوميوس – الكتاب الثالث ص ١٠٧).

الروح والأزل منزَّهان عن الزمن وعن الأحداث والأفعال، وهذه هي طبيعة الله الفائقة غير المستهدفة للأفعال والأحداث الزمنية. فالمسيح هو ابن الله القائم الدائم في الذات الإلهية كابن مع الآب كائن فيه منذ البدء، منذ الأزل، خرج بمشيئة الآب إلى الوجود الزمني البشري بأن اتخذ له جسداً من عذراء، أي جسداً عذرياً بدون رجل فظل قدوساً بعد ولادته «فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). وهكذا اتحد بالبشرية عن إرادة لما أخذ جسداً منها، ولما وُلِد صار نائباً عن الله كابن الله في جسد إنسان، ذلك في المحيط البشري يُعلن عن الآب لأنه هو والآب واحد بالتساوي المطلق، ويُظْهِر حقيقة الآب غير المنظور «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، ويعمل كل مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان من عَرَض الخطية وعَرَض الموت الذي أصاب الإنسان نتيجة عصيانه لله، فحمل خطية الإنسان في الجسد ومات بالجسد ليخلِّص الجسد، أي البشرية، من الخطية وعقوبة الموت. وقام بعد أن مات، فأقام الجسد - أي جسد الإنسان - بالروح ليحيا حياة ثانية جديدة بالروح منزَّهة عن الخطية والموت، ليحيا الإنسان مع الله كما كان في شخص آدم قبل السقوط، ولكن دون احتمال سقوطٍ مرةً أخرى أو عصيان أو موت، في حياة أبدية مع الله، متحداً بجسد المسيح ليتراءى الإنسان الجديد أمام الله الآب في المسيح كابن مع الابن.

و - أنا هو ἐγώ εἰμι، ومعناها "أنا الكائن بذاتي، أو أنا

الكينونة"(٦).

هذا اللقب على فم المسيح يُعتبر لقباً استعلانياً، فهو يلفت النظر إلى أن المتكلم هو نفس المتكلم في أسفار العهد القديم «**أنا هو الرب**»، «**أنا هو الرب الإله**».

وقد اختصَّ إنجيل يوحنا بهذا اللقب، لأن إنجيل يوحنا يُعتبر إنجيلاً استعلانياً، وقد ورد فيه هذا اللقب ٢٩ مرة، في حين لم يرد وروده في الأناجيل الثلاثة الأخرى عن أربع مرات! أما وروده في أسفار العهد القديم، فقد ورد ١٠٦ مرات بالنص الحرفي «**أنا هو**». ويزيد إنجيل يوحنا في جعل هذا اللقب استعلانياً بالدرجة الأولى بأن سجَّله **كاسم شخصي للمسيح** في بعض المواضع تماماً، كما جاء في العهد القديم لاستعلان شخص الله المتكلم، ولكن الملفت للنظر جداً أنه يؤكد أن اسم الآب «أنا هو» قد أُعطي للمسيح ليكون اسم المسيح «**أنا هو**» أيضاً، ممثلاً الآب أقوى وأدق تمثيل حيث نسمع المسيح في إنجيل يوحنا الأصحاح ١٧ يُخاطب الآب هكذا: «أيها الآب القدوس احفظهم في **اسمك الذي أعطيتني**» (يو ١٧: ١١). وهذا مطابق للحقيقة التي أبرزها سفر الخروج ٢٣: ٢٠و٢١ «... ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، **لأن اسمي فيه**». وهنا نُوعِّي القارئ لعدم الدقة الذي جاء في الترجمة العربية، إذ جعلت الآية «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني»، وهذا مخالف للنص اليوناني. وأيضاً «كنت أحفظهم في

(٦) راجع: "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"، ص ٢١٨-٢٤٦.

اسمك الذي[7] **أعطيتني**» (يو ١٧:١٢)؛ موضحاً أن المسيح هو "الله متكلماً" أو هو "كلمة الله"، و"رسالة الله الشخصية"، فحين يتكلم المسيح فالله هو المتكلم. ولكي يتحقق القارئ من هذا نعطي مثلاً لذلك:

العهد القديم "الله"[8]	العهد الجديد "المسيح"
«فيعرف المصريون **أني أنا هو** حين أتمجد.» (خر ١٤:١٨)	«فمتى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون "**أني أنا هو**".» (يو ٨:٢٨)
«لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا "**أني أنا هو**".» (إش ٤٣:١٠)	«لأنكم إن لم تؤمنوا "**إني أنا هو**" تموتون في خطاياكم» (يو ٨:٢٤)
«أنا **أرعى غنمي** وأربضها يقول السيد الرب... فيعلمون **أني أنا هو** الرب.» (حز ٣٤:١٥و٣٠)	«"**أنا هو" الراعي الصالح**، وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني.» (يو ١٠:١٤)
«اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته **أنا هو**. **أنا الأول وأنا الآخر**.» (إش ٤٨:١٢)	«**أنا هو** الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء.» (رؤ ١:٨)
«**أنا هو الرب** فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله.» (إر ١٧:١٠)	«فستعرف جميع الكنائس "**إني أنا هو**" الفاحص القلوب، وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله.» (رؤ ٢:٢٣)

(٧) الترجمة الصحيحة عن اليونانية "الذي" وليس "الذين"

(٨) راجع القائمة الكاملة في كتاب: "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"، ص ٢٤٤ - ٢٤٦

واضح هنا أن اسم الله في القديم كان "أنا هو" ἐγώ εἰμι، كما هو واضح أن الله أعطى اسمه هذا للمسيح "الابن" «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به **باسمي** أنا أُطالبه» (تث ١٨:١٩)، «لأن اسمي فيه.» (خر ٢٣:٢٠و٢١)

ولكن مـا معنى أن يحمل المسيح اسم الآب؟

المسيح يرد على ذلك ردًّا واضحاً مقنعاً شارحاً ذلك: «أنا قد أتيت **باسم أبي**، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر **باسم نفسه**، فذلك تقبلونه» (يو ٥:٤٣)، «الأعمال التي أنا أعملها **باسم أبي** هي تشهد لي» (يو ١٠:٢٥). وعلى القارئ الباحث أن يلتفت إلى أن اسم **"أنا هو"** الذي كان ينطق به المسيح ليعبِّر عن اللاهوت الذي فيه، يأتي بالعربية ناقص الفعل في قوله "أنا هو". فحينما يقول «أنا هو الراعي الصالح»، فأصلها في اليوناني "أنا أكون الراعي الصالح" أو "أنا الكائن بذاتي الراعي الصالح". فالضمير في العربي **"هو"** في "أنا هو"، يأتي في اليونانية فعلاً **"أكون"** εἰμι، وليس ضميراً. لذلك اختفى الاسم الإلهي الذي للمسيح **«أنا هو أكون»** في كل الترجمة العربية للأسف.

فالمسيح عند قوله «أنا هو الراعي الصالح»، يُعلن أولاً لاهوته بذكر اسم الألوهة كاملاً ἐγώ εἰμι "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الكائن"، ثم يعلن ما صار إليه – الراعي – وتُفهم هكذا "أنا الكائن بذاتي صرت راعياً"، وهو المعنى الحرفي في اليونانية لقوله «أنا هو الراعي». وهكذا كل ما نطق المسيح بذكره "أنا هو"، فهو باليونانية "أنا الكائن ἐγώ εἰμι".

من هنا تنجلي أمام أعيننا قوة التعبير الإلهي في وصف المسيح لنفسه أنه الكائن **بذاته الأزلي**، وهو بذلك ليس راعياً لخراف حيوانية خرساء؛ بل راعياً **صالحاً** «لماذا تدعوني **صالحاً**، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مر ١٠: ١٨)، بمعنى "راعياً إلهياً" لحياة الخراف الناطقة. لذلك يقول أيضاً «أنا الكرمة **الحقيقية**»، وترجمتها العربية الصحيحة: «**أنا هو** الكرمة الحقيقية»، حيث «الحقيقية» هنا ترفع عن الكرمة كيانها المنظور المادي وصلتها بالأرض، لأن الحقيقي هو السمائي **والأزلي**، وهو غير الظاهري المادي الفاني والزائل. فصفة **الحقيقية** للكرمة يقابلها في الضمير "أنا" بوضعه **الأزلي** = "أنا هو" أو "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الله صرت كرمة حقيقية بتجسدي، وأنتم فيَّ من "لحمي وعظامي"" (أف ٥: ٣٠).

لذلك ننبِّه القارئ لاسم "أنا هو"، فهو يعطي للإنجيل كله فهماً جديداً فائقاً متعالياً يليق بالمسيح الذي يقول «أنا والآب واحد». **فأنا هو** ἐγώ εἰμι **"اسم واحد"** لجوهر الآب والابن، وهو اسم الألوهة ببيان ووضوح وتأكيد مفرح.

(أغسطس ١٩٩٣)

